

المقدمة:

مرحبًا بكم في المحاضرة الثانية من سلسلتنا اليومية "العيون على غزة"—وهي سلسلة تجمع بين الاحتجاج والتعليم. ضيفتنا اليوم هي الدكتورة لينا دلاشة، مؤرخة متخصصة في تاريخ فلسطين وإسرائيل، مع تركيز خاص على تاريخ الفلسطينيين في أراضي 1948. كما أنها ناشطة ملتزمة، تعمل بلا كلل من أجل العدالة في فلسطين وخارجها.

اليوم سنتحدث إلينا عن غزة والنكبة المستمرة. سنتحدث لينا لمدة ثماني دقائق تقريبًا، وبعدها سنترك وقتًا قصيرًا للنقاش. للحفاظ على سير الفعالية بسلاسة، إن كنتم ترغبون في طرح سؤال، يمكنكم كتابته في الدردشة وسأقوم بقراءته للدكتورة لينا بعد انتهائها من الحديث.

مرحبًا بك يا لينا، وشكرًا جزيلاً على وجودك معنا اليوم.

المحاضرة:

شكرًا لك، أييليت، وشكرًا لكم جميعًا على حضوركم، وأشكر هذه المبادرة.

أعتقد أنه من الضروري للغاية أن نستمر في الحديث عن غزة—وخاصة الآن. لكن دعوني أعود بكم قليلًا إلى بداية الحركة الصهيونية، التي كانت منذ نشأتها مشروعًا استيطانيًا-استعماريًا يهدف إلى إقامة كيان سياسي يهودي في فلسطين على حساب السكان الفلسطينيين الأصليين. وقد وجدت هذه الحركة حليفًا قويًا في الاستعمار البريطاني، الذي ساعدها على ترسيخ وجودها خلال العقدين اللذين شهدا تهجير عشرات الآلاف من القرويين الفلسطينيين وتوسيع الاستيطان اليهودي. هذا المسار رسّخ في أذهان قادة الحركة الصهيونية أيديولوجيا "نقل السكان"، والتي اعتبروها حلًا لما أسموه "الاختلال الديموغرافي" ولمقاومة الفلسطينيين، الذين رفضوا قبول تهجيرهم وتهميشهم في وطنهم.

في حرب عام 1948، استغلت الصهيونية الفرصة لإعادة تشكيل الواقع الديموغرافي والجغرافي لفلسطين بشكل جذري. ولدت دولة إسرائيل على أنقاض المجتمع الفلسطيني. وكانت هذه هي نكبتهم: 750,000 فلسطيني طردوا من ديارهم، ودُمّرت أكثر من 500 قرية وبلدة. تحركت إسرائيل بسرعة لمنع عودة اللاجئين الفلسطينيين، وبنت مستوطنات يهودية على أراضيهم. وقد اكتمل احتلال فلسطين التاريخية عام 1967 باحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة، وتهجير ما يقارب 240,000 فلسطيني إضافي. منذ ذلك الحين، يعيش الفلسطينيون نكبة مستمرة. فاليوم، لا يزال الملايين من الفلسطينيين يعيشون في المنفى، ويعيش ملايين آخرون تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي الوحشي والتوسع الاستيطاني المتواصل. وحتى ما يقارب المليونين من الفلسطينيين الحاملين للجنسية الإسرائيلية—الذين يتمتعون ببعض الحقوق المحروم منها الآخرون—يواجهون تمييزًا منهجيًا وتهميشًا وتهديدًا دائمًا.

لكن منذ الجرائم المروعة التي ارتكبتها حماس في السابع من أكتوبر، دخلت النكبة المستمرة مرحلة جديدة ومدمرة—تفوق حتى ما حدث في عامي 1948 و1967. تقوم إسرائيل بشكل منهجي بتدمير الحياة في غزة، وتشن حربًا قاتلة لا هوادة فيها على سكانها. الأمر لا يقتصر على قرابة 58,000 شخص قُتلوا بشكل مباشر. فالعدد الحقيقي، عندما نأخذ بعين الاعتبار ما أتوا بسبب سوء التغذية، ونقص الرعاية الصحية، والمياه غير الصالحة للشرب، وسوء الصرف الصحي—أكبر بكثير. ولن نعرف الرقم الكامل إلا بعد انتهاء هذه المجزرة.

لقد دمرت إسرائيل أيضًا النظامين الصحي والتعليمي في غزة بشكل ممنهج، بما في ذلك جميع جامعات القطاع، إلى جانب البنى التحتية والمنازل. أكثر من 60 بالمئة من مباني غزة قد تضررت أو دُمّرت. مناطق كاملة مثل رفح وبيت لاهيا مُسحت من الوجود تقريبًا. نحو 90 بالمئة من سكان غزة تم تهجيرهم، وهم ينتقلون باستمرار بفعل أوامر الترحيل الإسرائيلية. ما يقرب من 83 بالمئة من قطاع غزة أعلن عنه منطقة عسكرية خاضعة لأوامر الإخلاء. حجم الدمار يتجاوز بكثير نكبة عام 1948، ويبدو أن شهية إسرائيل للتدمير لم تُرو بعد.

وهنا، أود أن أؤكد على أمر مهم: حينما نتحدث عن "نكبة مستمرة"، يجب ألا نغفل عن التحول النوعي الذي نشهده اليوم. فعلى الرغم من استمرارية المأساة، إلا أننا الآن أمام تصعيد مرعب. حجم الخسائر البشرية والدمار الذي لحق بالحياة الفلسطينية اليوم يمثل مستوى غير مسبوق من العنف. ومعه، عاد خطاب "الترانسفير"—أو الترحيل القسري—الذي تراجع لبعض الوقت عن الخطاب الإسرائيلي السائد، ليظهر من جديد وبقوة. فكرة ترحيل سكان غزة أصبحت الآن أمرًا مألوفًا في الخطاب السياسي والإعلامي—حتى قبل خطة "ريفييرا غزة" التي اقترحتها إدارة ترامب. لكن هذا ليس مجرد خطاب. وكما أشار البروفيسور غادي الغازي مؤخرًا، فإن خطة ترحيل سكان غزة جارية بالفعل. فمن ينظر إلى خريطة غزة الحالية—بمناطقها الأمنية الكثيرة والمساحة الضيقة التي دُفع إليها الفلسطينيون—يمكنه أن يرى الصورة بوضوح.

ولا يتوقف هذا الفكر التهجيري عند غزة فقط. فبينما نتحدث الآن، تتسارع حملة التطهير العرقي. فقط هذا الأسبوع، أُطلق نداء عاجل بعد أن وافق الجيش الإسرائيلي على إجراء تدريبات عسكرية داخل مناطق إطلاق نار حيّة. ومنذ أكتوبر 2023، تم تهجير 29 مجتمعًا فلسطينيًا في المنطقة "ج" من الضفة الغربية. يقوم المستوطنون بتكثيف حملات الإرهاب ويجاهرون بنجاحهم، بينما

تواصل الحكومة الإسرائيلية المصادقة على المزيد من المستوطنات وشرعتها، بهدف واضح يتمثل في طرد الفلسطينيين من المنطقة "ج" وما بعدها. حتى المواطنون الفلسطينيون داخل إسرائيل يواجهون خطابات الطرد، وتهديدات قانونية بسحب الجنسية، والترحيل، والاعتقال الإداري.

والآن، ومع تحوّل انتباه العالم نحو احتمال اندلاع حرب مع إيران، يجب أن نكون أكثر يقظة تجاه ما يحدث لأولئك الذين يقاومون النكبة المستمرة—والتي باتت أكثر وحشية من أي وقت مضى. فكل يوم تقتل إسرائيل المزيد من الفلسطينيين—وخاصة أولئك الذين يصطفون من أجل الطعام، ولكن ليسوا وحدهم—فيما الحصار والتجويع الجماعي مستمران في غزة. تهديدات الطرد والتهجير تزداد، ليس فقط في غزة، بل في أنحاء الضفة الغربية أيضًا.

يجب علينا أن نضمن ألا تمر هذه النكبة—هذه النكبة المستمرة والمتكررة—بصمت. يجب أن نسمع أصواتنا واحتجاجاتنا. وربما، يجب أن نتجاوز الكلمات.